

زيارة صاحب الجلالة للمملكة الإسبانية

في اطار الزيارة الرسمية التي قام بها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني للمملكة الاسبانية، ابتداء من 25 شتنبر 1989، اقام جلالة الملك خوان كارلوس الاول والملكة صوفيا مأدبة عشاء تكريما لصاحب الجلالة، حضرها صاحب السمو الملكي الامير مولاي رشيد وصاحبة السمو الملكي الاميرة للاحسناء واعضاء الوفد الرسمي المغربي المرافق لجلالة الملك، بينما حضرها من الجانب الاسباني كريمتا الملك خوان كارلوس ورئيس الحكومة الاسبانية وعدد من سامي الشخصيات الاسبانية.

وقد القى العاهل الكريم بالمناسبة الكلمة السامية التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله

صاحبي الجلالة

اصحاب السمو

اصحاب السعادة

ايها السيدات والسادة

نود باديء بدء، ان نعرب عن سرورنا بالزيارة التي نقوم بها اليوم لاسبانيا، ويطيب لنا ان نستحضر بهذه المناسبة، زيارة جلالتكم لنا بفاس، خلال سنة 1979، ونعتبر زيارتكم للمغرب وحضورنا اليوم بينكم، عاملين حاسمين من شأنها تعزيز الصداقة القائمة بين شعبينا، وتمتين الروابط التي تجمعهما منذ عهد بعيد.

ان اسبانيا تحتل في قلوب المغاربة مكانة خاصة، وتحظى في نفوسهم بمنزلة ممتازة، وهذا ما جعلنا نعنى اكبر عناية بما يجري في هذا البلد، ونتابع عن كثب تطوره والخطوات التي يخطوها على الطريق الذي اختار ان يسير فيه.

لقد استطاعت اسبانيا ان تنتقل من نظام فريد من نوعه، اختصت به ولم يكن له نظير في غيرها من بلاد العالم، وان تخرج منه الى نظام اكثر ملاءمة لمتطلبات العصر الحديث، وللوضعية التي اصبحت توجد فيها، وقد تم لها ذلك بفضل ما تتمتع به جلالتكم من مرونة فكرية وحصافة راي، وبفضل ذكاء قادة بلدكم، وما ابان عنه شعبكم في هذه الظروف من حكمة ونضج وكامل استعداد، الامر الذي جعل هذا الانتقال من نظام الى نظام بالرغم عما يمثله من تحول عميق في المجتمع الاسباني كله يتحقق بصورة طبيعية، دون ان تنتج عنه صدمات مضادة كان البعض يخشى وقوعها.

وقد قام الجيش الاسباني في هذا التطور، بدور هام سيعنى المؤرخون بتسجيله بصورة خاصة، فقد وقف صفا مرصوصا وراء جلالتكم، وابان في هذه الظروف عن روح من الانضباط جديرة بالاعجاب، جاعلا مصلحة الوطن العليا فوق غيرها من الاعتبارات العارضة، وقد استطاع بفضل ذلك، ان يندمج

بلطف في الهياكل الجديدة، وان يكون بأجمعه في خدمة الملكية الدستورية، ولا ريب في ان الاتحاد القائم بين جلالتكم والجيش الاسباني المجيد وشعب اسبانيا، كان عاملا حاسما في نجاح مسيرة بلدكم نحو تحقيق الاهداف الجديدة التي رسمها لنفسه.

لقد اصبحت المؤسسات الديمقراطية في بلدكم، تسير بصورة متناسقة وتحظى برضى الجميع، الامر الذي يفخر به الشعب الاسباني عن جدارة واستحقاق، ويعتز به جميع اصدقائه ونحن من جملتهم، ويزهو به كل الذين يشاركونه تعلقه بمثل السلم والعدل والحق.

لقد استطاعت اسبانيا، بفضل نظام الحكم الذي اختارته بصورة لا رجعة فيها، ان تتقرب الى جيرانها، الذين يقوم نظام الحكم عندهم على مبادىء متشابهة، وان تنضم في نهاية المطاف الى المجموعة الاقتصادية الاوربية.

وقد ظن كثير من الناس، ان انضمام اسبانيا الى هذه المجموعة، قد يكون مصدر صعوبات ومشاكل للبلدان الواقعة في جنوب البحر الابيض المتوسط، وللمغرب بصورة خاصة، وقد تولدت بالفعل عن هذه الوضعية الجديدة، صعوبات ومشاكل لم يقتصر اثرها على المغرب، بل شمل اسبانيا كذلك، وقد واجهناها مع واحدة بعد اخرى بحكمة وبصيرة بحيث لم تكن في وقت من الاوقات مثار خلافات بيننا لا نستطيع تجاوزها.

والمغرب ــ كما تعلمون ـ قد طلب ايضا الانضمام الى المجموعة الاقتصادية الاوربية، على ان يكون فيها عضوا كامل العضوية، له ما لغيره من اعضائها وعليه ما عليهم، وقد حملتنا على تقديم هذا الطلب، عوامل عديدة انضاف اليها منذ قليل، عامل اخر ذو قيمة لا تقدر.

ان المغرب جار مباشر لاسبانيا، تطل شواطئه على المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط معا. وينتمي الى مجموعات متعددة الانواع والاصناف، تتمتع مجتمعة بوزن لا يستهان به في تسيير شؤون العالم.

فهو ينتمي الى منظمة المؤتمر الاسلامي، التي كان اول الداعين الى تأسيسها، على اثر احراق المسجد الاقصى في سنة 1969.

وهو عضو في جامعة الدول العربية، وقد تشرف خلال السنوات العشرين الماضية، بانعقاد عدة قمم عربية على ارضه، دعا الى اجتماعها واضطلع برئاستها، وهو فضلا عن ذلك، عضو في الاسرة الافريقية التي يعتبر نفسه جزءا لا يتجزأ منها.

واخيرا تحقق الحلم القديم، الذي طالما راود شعوبنا، ووحد صفوفها خلال الكفاح الذي خاضته لتحريرها من ربقة الاستعمار، وبعد ان كان البعض يظنه ضربا من ضروب الخيال، وقد تم ذلك في شهر فبراير سنة 1989 بمدينة مراكش، حيث ولد اتحاد المغرب العربي، الذي يتالف من ليبيا وتونس والجزائر وموريتانيا والمغرب.

وقد اراد مؤسسو هذا الاتحاد، ان يجعلوا منه مشروعا تقدميا يهدف اول ما يهدف، الى استقرار المنطقة التي توجد بها بلادهم، وكانوا يطمحون ايضا بذلك، الى ان يبذل كل منهم ما يتوافر لديه من جهود الابداع، لتقديم مساهمتهم المتواضعة، في اقرار السلام والعمل للحفاظ عليه حيثما تعرض لتهديد.

ان الانسانية تتطور بسرعة لم يكن في مستطاع احد ان يتوقعها او يقدر مداها وقد تغير وجه العالم نتيجة ذلك.

ونلاحظ اليوم، ان العالم اصبح يحشد جميع ما يتوافر لديه من وسائل للقضاء على بؤر التوتر حيثما وجدت، ولازاحة الاخطار التي تهدد السلام العالمي.

ان التطرف المتشدد الذي كان على اختلاف انواعه، يعرض الانسانية لافظع الكوارث، قد خارت اليوم قواه، ويكاد يدخل الان في خبر كان.

اننا على ابواب عهد جديد، تطبعه المنافسة لا من اجل التناحر والاقتتال، ولكن في سبيل تحقيق التقدم والرفاهية، ورفع مستوى المعيشة، والتحديات التي نواجهها في اخر هذا القرن عديدة، وهي من جهة في مستوى الفتوحات العظيمة التي تحققت في المجالات العلمية والتكنولوجية، ومن جهة اخرى، على قدر المطامح المشروعة التي يتطلع الانسان الى تحقيقها، وهو يستعد لولوج القرن الحادي والعشرين، وهذا ما يفرض علينا جميعا. ان نسلك سبيل التضامن والتعاون، اذ ليس في مقدور اي امة، ان تواجه بمفردها جميع التحديات التي اصبحت ملامحها ترتسم في الافق.

وقد بدا هذا التضامن وهذا التعاون، يتحققان بصورة تبشر بالخير، عندما انشئت مجموعات كالمجموعة الاقتصادية الاوربية، وهذا ما نرجو ان نجسمه بدورنا، في حظيرة اتحاد المغرب العربي، ولعل من نافلة القول، التذكير بان من بين الاهداف التي يرمي اليها مؤسسو هذا الاتحاد، العمل لتعزيز التضامن، وتعميق وتوسيع التعاون مع المجموعة الاقتصادية الاوربية. فعلينا جميعا ان نضع اسس الهياكل الكفيلة ببلوغ هذا الهدف، الذي يعتبر مساهمة فعالة، لا في الحفاظ على العلاقات السلمية بيننا فقط، ولكن كذلك، في تطوير علاقاتنا الاقتصادية والاجتماعية والانسانية، والسعي لتفهمها على افضل وجه.

بيد ان العلاقات بين المجموعات والتجمعات، لا تنافي العلاقات الثنائية التي يمكن ان توجد، بل كثيرا ما توجد فعلا، بين البلدان والدول على اختلافها، وقد كان المغرب وما يزال، يبذل كل ما في مستطاعه، لبلوغ الغايات المتوخاة في هذا المضمار.

ان المغرب ملكية دستورية، يقوم نظامها على اسس ديمقراطية برلمانية، يطبعها التعدد والليبرالية، وقد كان دائما وسيظل بحكم ماضيه العريق في التسامح منفتحا على الخارج اوسع ما يمكن ان يكون الانفتاح.

وتشابه نظم الحكم في كل من اسبانيا والمغرب، فضلا عما يجمعهما من الروابط الجغرافية والتاريخية، كان من شأنه ان يقرب ما بين البلدين، وهذا ما وقع بالفعل خلال السنوات الاخيرة، حين بدات المقاولات الاسبانية الكبرى تهتم بالمغرب، وتحصل احيانا على حصة كبيرة من بعض الصفقات التي يبرمها، خصوصا في مجال البناء والاشغال العامة، ولا ادل على ذلك من ان ميناء اكادير — وهو اليوم اكبر موانئنا البحرية - قد قامت بانجازه مقاولة اسبانية، وقد قمنا اخيرا بابرام صفقة تتعلق بسد مجعرة، الذي سيكون من غير شك اكبر سد في افريقيا، وقد كانت اسبانيا، من بين الاقطار التي رست على مقاولاتها، المناقصة التي اجريت لهذه الغاية. ونحن نغتبط ايما اغتباط، بهذه الانطلاقة الجديدة التي نشهدها، في مختلف مجالات التعاون القائم بيننا، ونعتقد جازمين بان الارادة السياسية التي تحدونا جميعا، ستتيح له ان يتسع ويمتد ليشمل جميع قطاعاتنا الاقتصادية.

بيد ان اروع عمل يميز عصرنا هذا، سيتحقق عندما يتم انجاز الربط الثابت بين اسبانيا والمغرب، عبر مضيق جبل طارق، وقد كان لقاؤنا بفاس سنة 1978، منطلقا حاسما في سبيل اخراج هذا



المشروع الى حيز الـوجود، ومنـذ ذلك الحين، حصل تقـدم كبير في الدراسة التـي قام بها بلـدانا، فيما يتعلق بمختلف جـوانبه، وقد اصبح هـذا المشروع الضخم، مجالا خصيبا للتعـاون القائم بين المعـاهد والمؤسسـات العلميـة والتقنية، في كـل من اسبانيـا والمغـرب، وقـد ثبت الان، انـه ممكن التحقيق من الوجهة الفنيـة، ونحن على يقين بان تمويله لن تعترضه صعوبات كبرى، نظـرا الى ما سيترتب عليه من نتائج واثار لا تعـد ولا تحصى، وقد يتم قبل نهاية هذا القـرن، اقامة جسر بين اوربا وافـريقيا، وحينئذ ستنضاف رابطة جديدة، الى مختلف الروابط القائمة الان بين اسبانيا والمغرب.

23صفر 1410(25 شتنبر 1989)